هكذا فسروا رسوماتهم

زياد طارق العتائقي

هكذا فسروا رسوماتهم

دراسة ميدانية لمعرفة ماذا قال الأطفال عن رسوماتهم

الفصل الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

رسوم الأطفال من النتاجات الإنسانية المحيّرة، لذا فإن المتتبع لها لغرض فهمها وتفسيرها يبقى يدور في حلقة الأبحاث العلمية التي قام بها مختصون في العلوم التربوية والنفسية، وهؤلاء يستندون في تفسيراتهم إلى نظريات يتخذونها مرجعا علميا لتفسيراتهم لتلك الرسوم. ومن المثير للاهتمام ان بعض الباحثين شكك في مصداقية تلك التفسيرات [١]، لكونها لم تستند الى التجربة العملية الدقيقة التي من جرائها يصدق التعميم.

وإزاء هذه الحيرة وما يتطلبه عملنا في مجال التربية الفنية في المدارس الابتدائية بصفة معلمين أو مشرفين تربويين ظهرت الحاجة إلى تفسيرات يمكن الوثوق بها إلى حد ما، فبرز إمامنا التساؤل الآتي:

بماذا يفسر التلميذ المظاهر التعبيرية في رسوماته؟

لأجل الإجابة عن هذا التساؤل صار لزاما علينا أن نتوجه إلى التلاميذ أنفسهم ونسمع منهم تفسيراتهم. فوثقنا تشكيل فريق بحثي مؤلف من معلمين ومشرفين لأن طبيعة عملهم تجعلهم أكثر التصاقا بالتلاميذ، فهم الذين يشهدون انجاز رسومات الأطفال خطوة بخطوة، هذا من جانب ومن جانب آخر هم من أكثر مَنْ يحظى بثقة التلاميذ عندما يجيبون عما يُسألون عنه بأريحية تسوغ للباحث أن يتخذ من إجاباتهم أساسا رصينا لنتائج بحثه.

وقد تم توثيق البحث بموجب الأمر الإداري الصادر من المديرية العامة للتربية في محافظة بابل قسم الاعداد والتدريب/ شعبة البحوث (تد/٢٠٠٤٨ المؤرخ في ٢٠١٤/١١/١٨). تضمن مجتمع البحث المدارس الابتدائية في مركز قضاء الحلة [٢] البالغ تعدادها (٩٠٠) مدرسة تقريبا. فيما بلغت عينة البحث (٣٠٠) لوحة انطبقت عليها القواعد العامة الموحدة لعميلة تحليل المعلومات.

وقد اختار الباحثون أن تكون المظاهر التعبيرية التي ستكون موضوع البحث هي:

١- المبالغة.
٢- التصغير.
٣- الحذف.

---

(١)فرج، ١٩٩٢، ٣١-٣٥.

(٢)التخطيط، ٢٠١٩-٢٠١٠/الكراس الإحصائي للمدارس .

اعتمدنا أسلوب الملاحظة المباشرة لتحديد المظاهر التعبيرية التي تمت مناقشتها مع التلاميذ استنادا إلى التعريفات المتفق عليها لتلك المظاهر وهي:

المبالغة:

تعني المبالغة في هذا البحث ان يكون حجم أحد العناصر أكبر من بقية عناصر الموضوع، أو يكون أحد أجزاء العنصر أكبر من بقية الاجزاء فعندما يكون حجم الشرطي في موضوع "شرطي المرور" أكبر من عمود الاشارة الضوئية والسيارات وبقية العناصر، وتكون يده التي يشير بها الى السيارات أكبر من يده الاخرى أو أكبر من جسمه يسمى هذا التعبير مبالغة.

نلاحظ حجم شرطي المرور أكبر من الاشارة الضوئية والأشخاص والسيارات.

التصغير:

التصغير في هذا البحث هو أن تكون نسبة حجم العنصر أصغر من بقية عناصر الموضوع، أو يكون جزء من أجزاء العنصر أصغر من بقية الأجزاء كما هو فيما يأتي:

التليمذة براق عبد الله ست سنوات نلاحظ أن اليد القريبة من حافة الورقة أصغر من اليد الأخرى.

الحذف:

في هذا البحث هو حذف جزء من أجزاء العنصر كحذف اليدين أو اليد من العنصر الإنساني وغيره كما هو موضح في الشكل الاتي:

نلاحظ في هذه الصورة حذف اليدين والمبالغة في رسم الجسم بالنسبة الى النخلة.

الاهمية التربوية

ورب سائل يسأل ما فائدة معرفة التفسيرات؟

وللإجابة عن هذا السؤال أقول: أن الفائدة من معرفة التفسيرات هي فهم المظاهر التعبيرية في رسوم الاطفال من حيث الماهية[٣]، ليتسنى للمعلم من بعد ذلك إجادة التوجيه والإرشاد اللازم بذله للتلاميذ فلا يتركهم فيما هم عليه من خبرات سابقة قد تكون دون مستوى قدراتهم العقلية والمعرفية ولا يقحمهم في أمور أكبر من فهمهم ومستوى تطورهم العقلي والفسلجي فيتمكن من بعد ذلك إجراء التعديلات اللازمة علي خططه السنوية واليومية واختيار الأهداف والأغراض الفنية ثم الموضوع المناسب لهم، لتحقيق التنمية المعرفية والعقلية وهي الغاية من التربية عن طريق الفن.

لأجل فهم اتجاهات التلاميذ نحو رسوم الأطفال برز لدينا التساؤل الاثرائي الآتي:

هل التلميذ يتذوق الجمال لنفسه أم لأمر آخر؟

للإجابة عن هذا السؤال اخترت خمسين صورة لمراحل دراسية مختلفة من رسوم الأطفال، وبعض اللوحات لفنانين منها واقعية ومنها تجريدية، وبنيت ورقة استبيان يعتمدها الفاحص في عمله لتسهيل الامر عليه وتبويب الإجابات، كما هو موضح فيما يأتي:

تمت عنونة الاستبيان بـ(التفضيل الجمالي والموضوعي) وحُددت مرحلتي الطفولة المتوسطة والمتأخرة مجتمعا للبحث. تألفت الاستبانة من حقلين أساسيين الأول للمعلومات يتضمن (ت) وهو تسلسل اللوحة المعروضة و(العمر) وهو العمر الزمني للتلميذ بغض النظر عن مرحلته الدراسية والحقل الأخير يتضمن ثلاثة أعمدة الأول (نعم) ويعني أن التلميذ يفضل هذا الرسم لأربعة أسباب:

١- لأنه رسم.
٢- لأنه يتضمن موضوعا.
٣- لأنه يفهم الموضوع.
٤- لأنه يحب الموضوع.

و الثاني من الاستبانة هو (لا) ويعني أنه لا يحب هذا الرسم لأنه:

١- لوجود خطأ فيه (بحسب رأي التلميذ المفحوص).
٢- لأنه لا يحب الموضوع.
٣- لأنه لا يفهم الموضوع.

---

(٣) ماهيةُ الأمر: حقيقته وطبيعته وصفاته الجوهرية.

والثالث ملاحظات الفاحص ورأي التلميذ إن وجد. كما هو موضح في الشكل الآتي:

المعلومات				التفضيل							
ت	العمر	ذكور	اناث	نعم				لا			الملاحظات
				رسم	موضوع	يفهم	يحب	وجود خطأ	لا يفهم	لا يحب	

وقد تبين من معاينة اجوبة التلاميذ أنهم يفضلون الرسم الذي يتضمن موضوعا يفهمونه ويحبونه، وانهم لا يفضلون الرسم الذي لا يحتوي على موضوع أو أنهم لا يفهمون الموضوع أو لا يحبون الموضوع.

وظهر لدينا التمايز ما بين الذكور والاناث، فقد فضل الذكور الموضوعات التي تتضمن القوة والحركة العنيفة والعاب يحبونها مثل كرة القدم. أما الإناث فقد فضلن الموضوعات التي تتضمن البيت وشؤونه والعروسة والعلاقات الاجتماعية.

نموذج ملء الاستبانة

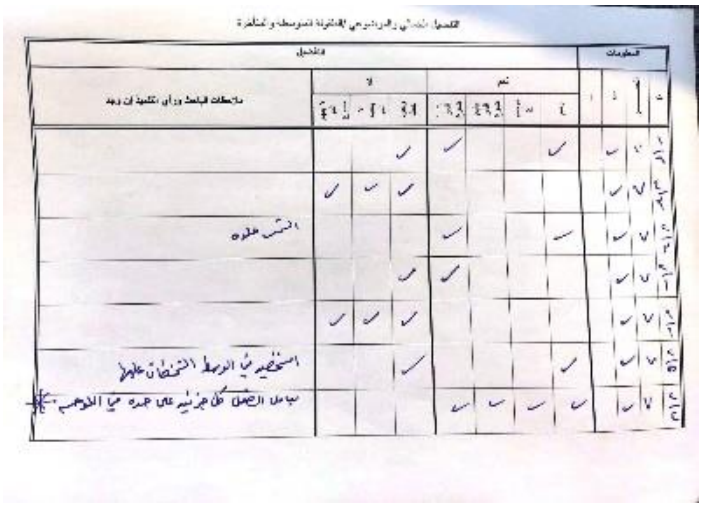

مشكلات ظهرت اثناء التنفيذ

ظهرت لدينا بعض الصعوبات أثناء مناقشة التلاميذ لمعرفة تفسيراتهم للمظاهر التعبيرية في رسوماتهم، أذكرها للفائدة عسى أن يلتفت اليها الباحثون مستقبلا.

١-**إحجام التلاميذ عن الإجابة**: نتيجة الخجل والإرباك لأنهم لم يتعودوا على مناقشة أعمالهم أثناء دروس التربية الفنية وكذلك لم يتدربوا على الجرأة الأدبية التي تمكنهم من التصريح بآرائهم بثقة.

وقد تَغلَّب الباحثون على هذه المشكلة بالتعزيز اللفظي للتلاميذ الذين استجابوا للمناقشة، وترك التلميذ الذي يرفض الإجابة وشأنه، ثم يعودون إليه من بعد أن يحس بالاطمئنان وتتولد لديه الشجاعة الأدبية للتصريح بما يكنّه في نفسه من مشاعر وتأويلات اتجاه الموضوع.

٢-**إجابات متماثلة تقريبا:** في اغلب الحالات كانت المناقشة مع التلاميذ داخل القاعة الدراسية، لذا كنت بعض الإجابات متماثلة تقريبا أو متطابقة، فبعض التلاميذ يستعين بجواب زميله الذي قد سمع اجابته. وبالنظر لضيق الوقت واجراء البحث خلال أيام العام الدراسي لم نتمكن من المناقشة الفردية في مكان خاص، ولكن تماثل الإجابات ما بين شعب المرحلة الدراسية بعث فينا الاطمئنان.

٣-**اللهجة العامية:** يتحدث التلاميذ باللهجة العامية(العراقية)، وعند التوثيق يحولها الفاحص الى اللغة العربية الفصحى بحسب فهمه للجواب، وللأمانة العلمية دُونت آراء التلاميذ في بعض العينات بموجب فهم الفاحص لكلام التلميذ كاختيار لفظ(النفعية) وغيرها، فإن التلاميذ لم يذكروا هذا اللفظ بتاتا.

من بعد أن يحصل الباحث على الإجابة المطلوبة يقوم بتوثيقها على ظهر ورقة الرسم مع اسم التلميذ ومرحلته الدراسية واسم مدرسته، وقد يحتاج الباحث إلى الاستعانة بمعلم المدرسة لتحصيل العينات وتوثيق إجابة التلميذ من بعد أن يتعرف على الموضوع المبحوث عنه مما سهل الكثير من الجهد والوقت.

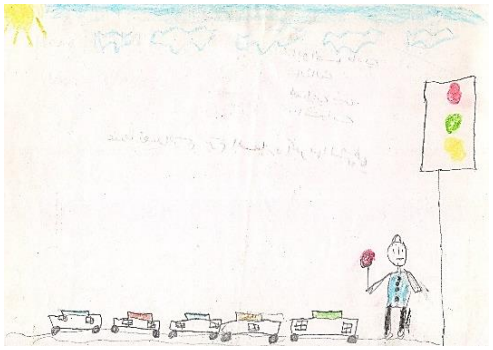

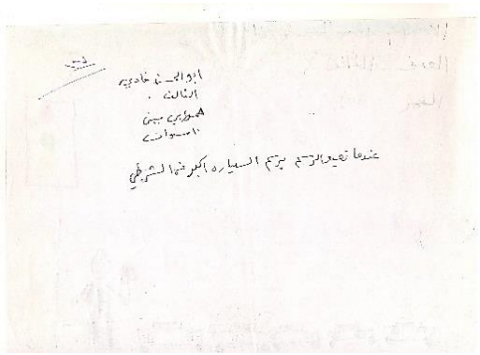

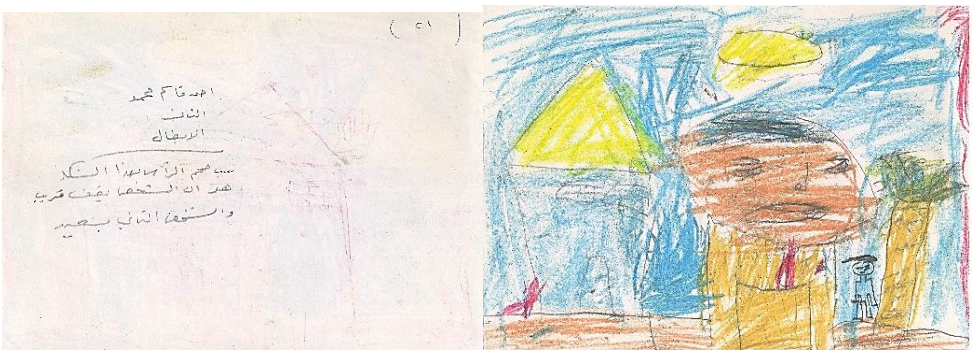

أساليب تحليل رسوم الأطفال

ذكر د. محمد محمود الحيلة أن هنالك أربعة أساليب لتحليل رسوم الأطفال نذكرها بتصرف:

١-الأسلوب النفسي: يعتمد هذا الأسلوب على معطيات النظرية التحليلية حينما يصف رسومات الأطفال أنها انعكاسات لانفعالاتهم واحتياجاتهم فهي اسقاطات لعالمهم الداخلي.

٢-الأسلوب السلوكي: يعتمد هذا الأسلوب على النظرية السلوكية في تقرير ان رسومات الأطفال تعكس التكوين الداخلي لهم.

٣-الأسلوب التطويري: يبني هذا الأسلوب أسسه على ان رسومات الأطفال تعكس المراحل التطورية لهم وأن رسومات الأطفال غير الواضحة تعني أن الطفل في مرحلة انتقالية.

٤-أسلوب معلم التربية الفنية: يقرر هذا الأسلوب أن معلم التربية الفنية يجهز المواد والأدوات التي تساعد الطالب على تطوير مهاراته وبالاشتراك مع طلبته يتمكن من تحليل أعمالهم وتفسيرها.[٤]

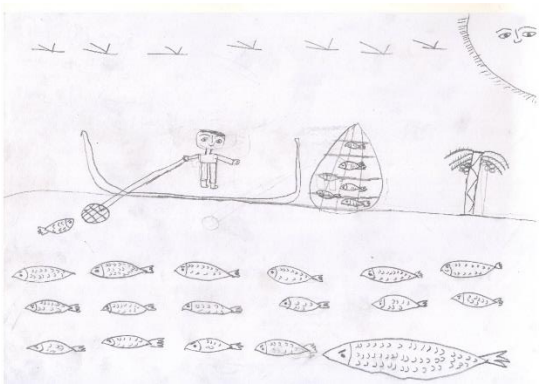

آلاء حمزة ٩سنوات

المظاهر التعبيرية وتفسيرها بحسب المألوف:

أعضاء البدن

أ-رسم شخص كبير جدا: يشير إلى العدوانية وفرط النشاط، أما الأطفال الذين يرسمون الشخص صغيرا جدا فهم يعانون من عدم الكفاءة والجبن والخجل والخوف والاكتئاب.

ب- الرأس: اذا بالغ الطفل في رسم الرأس فهو دليل على غروره.

ت- الفم الكبير مع اسنان كبيرة: يدل على العدوانية وكثرة الحديث.

ث- العيون: رسم العيون الكبيرة يدل على الاضطراب والاحساس بالمراقبة والشك. أما رسم العيون على شكل دوائر صغيرة فيدل على قلة العاطفة والاحساس بالتبعية وكذلك حذف العيون يدل أيضا على عدم الرغبة في الاختلاط مع الآخرين.

ج- الأنف: رسم فتحات الانف كبيرة وبارزة يدل على الانسجام الذاتي.

ح- الرقبة: رسم الرقبة طويلة جدا يدل على صعوبات في تحقيق الرغبات وصعوبة الارضاء، أما إزالة الرقبة تماما فهو دليل على مواجهة المشاكل.

خ- اليدين: رسم اليدين ممدودة يدل على الرغبة بالاتصال بالبيئة واشخاص اخرين او الرغبة في المساعدة والتعاون. وقد يدل على السرقة. أما اليدين الصغيرة فهي دليل على انعدام الأمن والعجز، وقد تدل على عوق اليدين.

د- التظليل: تظليل الجسم كله يدل على القلق، وإذا كان التظليل في جزء معين فيدل على القلق اتجاه ذلك الجزء. تشويه الشكل وكثرة تظليله يدل على القلق والافتقار إلى التوافق مع البيئة.

٤- د. محمد محمود الحيلة(٢٠٠٨)/التربية الفنية وأساليب تدريسها/١٩٩٨/ص ٩٧.

ذ- ضغط القلم: يعكس ضغط القلم إلى توتر العضلات وقوة الخط وخفته تدل على قوة او ضعف طاقة التلميذ وتوتره وهو مما يختص به الذكور دون الإناث.

ر- بعض المظاهر التعبيرية تشير إلى وجود مشكلة في حال تكرارها مثل: عدم الارتياح من بعض الموضوعات والفقدان الدائم لبعض الاشكال وحَولِ العيون و الشطب الغير طبيعي والتعتيم المفرط والرسوم الصغيرة المحصورة في مساحة صغيرة و رفض الرسم أو الحديث عنه واذا كانت الاشكال فارغة.

ز- مشاهد العنف: لا تشير بالضرورة إلى أمر مقلق ما دامت لا تتكرر كثيرا، كذلك هذا الحال يشمل الأعضاء التناسلية [٥].

التكوين والانشاء

١- موقع الرسم على الورق:

أن يكون الرسم في وسط الورقة فيعبر ذلك إما عن إحساس الطفل بالواقع بشكل سليم بمعنى إشباع (نفسي) أو أن يكون دالا على تمركز الطفل حول ذاته ومن خلال المقابلة نستطيع ان نضع فرضية تشخيصية.

٢- التمركز في جزء صغير من الورقة:

بأن يكون الرسم صغيرا ثم يمتد نحو الأسفل، مما يشير إلى أن للطفل مشكلة تتعلق بفقدان الأمن أو الخجل والإحساس بالضياع (أي إمكانية وجود مشاكل علائقية كحالات تفكك أسرى).

٣-إمتداد الرسم إلى خارج الورقة:

يدل على الحرمان العاطفي وضعف الثقة بالنفس ومحاولة البحث خارج الأسرة عن شخص أخر يمكن الاعتماد عليه. وقد يكون بسب الإفراط في الحركة وقصور الانتباه وقد يكون بسب العدوانية الكامنة المشفوعة احيانا بنوبات الغضب التي تؤدي إلى قصور في ضبط الذات، لذا يخرج الرسم عن الورقة.

٤-الخطوط:

عندما يمرر الطفل القلم على نفس الخط يدل هذا عن إمكانية وجود القلق وهو الباعث على هذا التصرف. أما تمرير القلم مرة واحدة فهو دليل على الشعور بالأمن ومستوى مقبول من التوافق. أما إذا كان الخط خفيفا جدا، ففيه دلالة على أن تقدير الذات منخفض، أو وجود مشاكل مع أشخاص داخل الأسرة.

٥-كثرة المحو:

يدل بشكل عام على وجود مخاوف أو محاولة إلغاء الأشخاص الذين يشكلون له إزعاج.

٦-الألوان ودلالاتها الرمزية:

---

٥ تحليل رسوم الأطفال الاجتماعية والعاطفية والجسدية والنفسية، معصومة فروخي ص ٥-٦.

إذا استخدم الطفل خمسة ألوان فهو مؤشر جيد على التوافق، أما غياب الألوان فيدل على غياب العاطفة (فراغ عاطفي) وفي بعض الحالات الأخرى مثلا في السن الحادية عشر يمكن أن يكون مؤشرا على الميول مضادة للمجتمع. إن استعمال عدد قليل من الألوان من لونين إلى ثلاث ألوان يكتفي الطفل بها يدل على رغبته في الانعزال شعوره بالوحدة وإحجامه عن إقامة علاقات مع الأخرين مما يؤدي إلى ضعف الاتصال مع الواقع المعاش.

مواضيع رسم الأطفال:

تحتل الأسرة والمدرسة مرتبة الصادرة في رسومات الأطفال، فالطفل عندما يرسم هذه المواضيع فإنه يبعث من خلالها مجموعة من الرسائل التي لا يستطيع الإفصاح عنها بشكل مباشر. ومادام البيت هو الأكثر تداولا في رسومات الطفل فان اغلب محللي رسومات الأطفال اعتمدوا قد فسروه بما يأتي:

البيت:

المنزل يحمل دلالات عاطفية ايجابية وسلبية (حب وكره) تعكس مشاعره وهنالك مظاهر تعبيرية تدل على الايجابية حينما تكون عناصر البيت كاملة، وكلما ظهرت تفاصيل تلك العناصر ارتفع احتمال مستوى من تناغم العاطفي الذي يعيشه الطفل.

هنالك عدة مظاهر تعبيرية تدل على ذلك، على سبيل المثال:

أ- الأبواب واسعة: تدل على انفتاح ورحابة الصدر.

ب- ستائر النوافذ ملونة: تدل على دفء ونسق عائلي كبير.

ت- طريق مؤدي مباشرة إلى المنزل: يدل على خلو الجو الأسري من الحواجز والمشاكل.

ث- المنزل بدون باب وألوان: يدل على مشاعر النفور.

نوع المشاكل بحسب عمر الأطفال:

معالم البيت:

- الطفل ما بين ٥- ٨ سنوات حينما يرسم بيتا بلا باب، يدل على وجود تعلّق شديد بالأم، بسبب الحماية المفرطة التي تؤدي إلى انصهار شخصية الطفل بشخصية أمه مع احتمالية وجود مشكلة الخجل.
- الطفل ما بين ٨-١٢ يدل على الشعور بالشعور بالنقص وسوء تقدير الذات والوحدة، أما في سن البلوغ فيدل ذلك على حساسية مفرطة اتجاه الآخرين.

عنصر الطريق:

- الطفل الذي لديه صعوبة الاتصال مع الآخرين لسبب من الأسباب يفضل تغييب عنصر الطريق في رسمه. الطريق المرسوم بشكل ملتوي يدل على أن طفل يرغب في الاتصال (لكن هناك حواجز) ويدل أيضا على أن انه يجد صعوبة في التعامل مع الطرف الآخر لوجود معوقات في عالمه الخارجي المحدود، أو أنه يكتفي فقط بتلقي هذا الاتصال. كلما كان طريق واسع ومفتوح دلّ على مشاعر الفرح والمستوى

الاجتماعي المقبول، وعلى العكس من ذلك إذا كان الطريق ضيق يدل على الإحجام أو عدم القدرة على التعبير عن العواطف. أما الرسم الذي تظهر فيه الطرق متعددة فإنه يعكس لنا مستوى ذهني عال ومقدرة على إقامة علاقات متعددة ومتشعبة.

عنصر الشمس:

- إن جود الشمس في الرسم يدل على الشعور بالقوة والأمان والدفيء العاطفي كما تدل أيضا على نوع العلاقة بين الطفل وأبيه، وإذا كانت مرسومة ساطعة تدل على علاقة متوافقة مع الأب.
- أما إذا رسم الطفل جزء منها دلّ ذلك على أن الأب مريض، وإذا كانت مرسومة خلف الجبال أو السحب دلت على العلاقة المتذبذبة مع الأب، أو أن الطفل يفتقد ألاب بسبب الطلاق أو الغياب طويل الامد.
- إذا لونت الشمس بالأحمر أو الأسود دلت على العلاقة المتدهورة بين الطفل وأبيه وأنه يعيش في جو مفعم بالقسوة أو الظلم.
- رسم الشمس تبكي فيها دلالة على شدة الافتقاد، وهو تعبير على أن الأب يبكي على حالة الطفل البعيد عنه.
-

رسم القمر:

وجوده القمر في الرسم يعكس فكرة الموت أو الخوف من الموت.

السماء والأرض:

رسم الطفل لخط الأفق يعكس ذل نوع من الواقعية والاتزان والاستقرار، وكلما كانت السماء صافية فإنه يعكس النضج والأمل في المستقبل مع رضى الطفل عن مستوى دعم الأسرى له، بالإضافة إلى احتمال أن الطفل يكون متميزا بالواقعية [٦].

تلك أبرز التفسيرات لرسوم الأطفال على حد علمي، وهي تفسيرات لا تصلح للتعميم، لكونها محدودة بحدود الحالة النفسية للمفحوصين، وربما صدرت عن عيادات الأطباء النفسانيين أو المرشدين النفسيين. فهنالك أطفال قد يتشابهون بالمظاهر التعبيرية في رسومهم إلا أن أنهم يختلفون في الدوافع التي جعلتهم يعبرون بتلك المظاهر. في الفصل الاتي سنذكر تفسير رسوم الأطفال من وجهة نظرهم.

(٦) مجلة الحوار المتمدن(https://www.ahewar.org/) إبراهيم محمد عياش،العدد ٤٨٣٣.

الفصل الثاني

النظريات التي فسرت رسوم الأطفال

ذكر علماء النفس جملة من النظريات التي أعتمدها المهتمون بشأن رسوم الاطفال، نذكر منها باختصار [٧] ما يأتي:

١- **نظرية الواقعية الساذجة** (Naive Realism):

تُعد هذه النظرية من أقدم النظريات التي حكمت افكار العلماء عن رسوم الأطفال. ويقصد بواقعية الرسم عند الأطفال هو انتاج رسوم ممثلة للواقع من الناحية البصرية، وقد افترضت هذه النظرية انه لا فرق بين جسم الشيء المرئي وصورته كما يدركها العقل، فالطفل عندما ينظر إلى سيارة مثلا تكون لديه المعلومات البصرية نفسها التي يستخدمها في رسمه لها. كما ذكرت ان الفروق الاساسية بين رسوم الطفل والبالغ ناتجة عن الاختلافات فيما بينهما من حيث: التحكم العضلي ومقدار المعلومات والمقدرة على الملاحظة البصرية. لذا فإن الطفل يُنتج رسوما غير مطابقة للواقع المرئي.

٢- **النظرية العقلية** (Intellectual Theory)

الاطفال يرسمون ما يعرفون:

تبين هذه النظرية أن رسوم الاطفال تحكمها تداعياتهم المعرفية ومدركاتهم العقلية عن الاشياء التي يرسمونها أكثر مما تحكمها صورة هذه الاشياء ذاتها، وأن الخطأ الكبير في تدريس الفن بطريقة كلاسيكية للأطفال نتج اساسا عن عدم المعرفة بأنهم يرسمون ما يعرفونه لا ما يرونه بطريقة لا شعورية. وذكرت ايضا أن رسم الاطفال مفاهيمي [٨] (**Conceptual**) لأنهم يوضحون في أعمالهم ما يعرفونه لا ما يرونه ويؤكدون فيها على ما يعنيهم بدرجة أكبر. أي أن رسوم الاطفال تُستمد من مصدر غير بصري اي من مفاهيم مجردة(**Abstract**) غير مدركة حسيا(**non-perceptual**) في رموز تعبر عما انطبع في اذهانهم من مفاهيم عن الاشياء، هذه المفاهيم والاشياء تنمو لدى الاطفال نتيجة لازدياد خبراتهم وتفتح قابلياتهم وقدراتهم الفسلجية والعقلية. أن رسوم الاطفال هي وسيلة للتفاهم والتعبير عن تلك المفاهيم بما تتضمنه من إدراك وتجريد وتعميم أكثر مما هي وسيلة لإظهار النواحي الفنية والجمالية.

٣- **النظرية الادراكية** (Perceptual Theory)

الأطفال يرسمون ما يرون:

٧- د. عبد المطلب أمين القريطي(١٩٩٥)/ مدخل إلى سيكولوجية رسوم الأطفال/ ص٣٤-٤١. **وقد اعتمدت الكتاب لكون ما ورد فيه يشمل الآراء جميعها على حد علمي.**

٨- الفن المفاهيمي والذي يُسمى أحيانًا بالمذهب التصوري، هو فن تشترك فيه المفاهيم أو الأفكار في الأعمال التي يكون لها الأولوية على الاهتمامات المادية والجمالية التقليدية. يقوم اساسا على ترجمة الفنان فكرته باستخدام أي وسيط يراه مناسبا للتعبير.

ذكر (رودلف آرنهايم**Arnheim:1969، 1974**) - وهو من كبار علماء النفس الجشطالتيون المعنيون بدراسة سيكولوجية الفن- أن الطفل يرسم ما يراه، لكنه يفعل ذلك معتمدا على المفاهيم البصرية (**visual concept**) وأنه ينظر بحدّه وذكاء واهتمام بالملاحظة، وأن الشكل الذي يرسمه ما هو إلا موجز شكلي مثلما هو عند الفنان (روبنز)[٩]على سبيل المثال، وأن الفارق الوحيد بينهما هو أن رسم الطفل أقل تفصيلا وتمايزا. وذكر أن المفاهيم المجردة مستمدة من عالم الصور(**images**) والخبرات البصرية، ذلك أن الطفل لديه مفاهيم للألفاظ إلا أنه عندما يشرع في الرسم يعتمد على المفهوم البصري للأشياء فيصورها وفق اعتبارات بصرية خالصة كرسمه للقاعدة الدائرية بصفتها راحة اليد التي تخرج منها الاصابع كأشعة الشمس.

٤- النظرية التحليلية (Analytical Theory)**:**

تعتمد هذه النظرية التحليل النفسي اساسا لتحليل رسوم الأطفال، فتقول إن هذه الرسوم ليست مجرد إسقاطات فوتوغرافية لما يراه الأطفال في الواقع المرئي، كما انها ليست محض نشاط عقلي يعكس عوامل معرفية معقدة، وإنما هي محكومة بعوامل أخرى وجدانية دافعية مرتبطة بمزاج الطفل وشخصيته وصراعاته ومشاعره ورغباته الدفينة، وتجاربه الشخصية وغرائزه واحتياجاته المحبطة، اذ تعمل هذه المتغيرات كمنبهات لا شعورية بالنسبة للطفل، وعلى الرغم من أنها غير معلومة بالنسبة له لكنها تؤثر على سلوكه وتطبع شخصيته، ومن ثم تنعكس على رسومه.

فالغرائز المكبوتة والرغبات والحاجات المحبطة أي الكامنة في اللاشعور التي تبحث لنفسها عن منفذ للتعبير وعن مخرج للتنفيس والاشباع تجد ضالتها في التعبير الفني، بل وتمنح الاشكال المرسومة ذاتها طابعها المميز من حيث نوعية الخطوط والهيئات والاحجام والاوضاع في الفراغ والعلاقات التكوينية القائمة فيما بينها وكمية تفاصيلها والوانها. لذا تُعدّ رسوم الاطفال من الوجهة التحليلية بمثابة رسائل موجهة الى الآخرين تصور أعماق شخصيات اصحابها أصدق تصوير. كما تعبر الاشكال المرسومة رموزا بصرية ذات دلالات سيكولوجية معينة لما لها من علاقة وثيقة بالجانب اللاشعوري الخفي من شخصية الفرد وما يعانيه من مشكلات وصعوبات.

٥- النظرية السلوكية(Behaviorism) **:**

يبدو أن اصحاب هذه النظرية يرون أن رسوم الاطفال نوعاً من أنواع السلوك المرتبطة بالظروف البيئية الخارجية (المثيرات) والسلوك الملاحظ (الاستجابات)، واكتشاف القوانين الحاكمة لاكتساب هذا السلوك ثم تعديله. ويبرزون دور التعلم والعوامل البيئية والخبرة أكثر من اية عوامل أخرى في تشكيل

٩- بيتروسباولوس روبنس **(Petrus Paulus Rubens)** رسّام بلجيكي ولد في عام ١٥٧٧-وتوفي في عام **1640**م. تعدّ أعماله مثالا صارخا على المدرسة الباروكية في فن التصوير، كانت تجمع بين أسلوب المدرسة الإيطالية وواقعية المدرسة الفلامكنية.

السلوك. ويستلزم تناول الرسوم كسلوك يمكن تعلمه من وجهة النظر السلوكية تحديد ما يجب ان يكتسبه الطفل وتنظيم الظروف البيئية اللازمة لعملية التعلم، فالبيئة هي المسؤولة عن تشكيل السلوك وتدعيمه وتبعا لذلك فان الرسوم كناتج تصبح مؤشرا على مدى فهم الطفل المهمة التي قام بأدائها ويقاس نجاح الطفل وفشله في تحقيق الاهداف التي سبق تحديدها وفقا لمحك محدد مثل بعض المهارات التصويرية والادراكية وتحقيق التناسق اللوني وإدراك التناسب.

نقد ومناقشة النظريات:

أجد أن النتائج التي اعتمدتها النظريات كانت مقيدة بأصولها النظرية، مما جعل النتائج لا تصلح للتعميم المطلق، حسبما رأيته عمليا في هذا البحث، وما قرأته من بحوث ودراسات بحسب استطاعتي، زيادة على التجربة العملية مع التلاميذ المنتمين إلى مجتمعات حضرية وريفية.

ولا أدعي أني أول من شكك بتلكم التعميمات، بل سبقني إلى ذلك أساتذة كبار أذكر منهم الدكتور القريطي في كتابة مدخل إلى سيكولوجية رسوم الأطفال في صفحة (١٣٣) نقلا عن(**1961:156،Mcfee**) ((ان بعض الدراسات التي اتخذت من العمر الزمني أساسا لتفسير النمو التعبيري الفني للطفل، عادة ما قامت على تحليل: اما رسوم طفل واحد او عدة أطفال دون الوقوف على الظروف التي أنتجت في إطارها تلك الرسوم، أو دون أن يكون لديها من العينات ما هو كاف لإصدار تعميمات تنسحب على معظم الأطفال)).

اختلاف التفسير باختلاف المرجعيات النظرية:

من خلال المقارنة بين النظريات وردّ بعضها إلى بعض تبين لي ان علماء كل واحدة منها قد اعتمدوا مرحلة من مراحل الرسم عند الطفل، أي انهم اخذوا الجزء على أنه الكل، اعتمادا على أبياتها النظرية التي تعتمدها، أي ان علمائها قد اثبتوا صحة نظرياتهم بتأويل رسوم الأطفال.

فنظرية الواقعية الساذجة اعتمدت الجانب الفسلجي من حيث عدم قدرة الطفل على التحكم العضلي وعدم اكتمال الجهاز البصري، اما النظرية العقلية فقد اهتمت بالجانب المعرفي المفاهيمي، والنظرية الادراكية التي اعتمدت على ادراك الطفل من حيث المفاهيم البصرية، والنظرية التحليلية اهتمت باللاشعور والخبرات المكبوتة، والنظرية السلوكية اهتمت بالأهداف التي يريد الطفل الوصول اليها، وبناءا على ما تقدم نجد ان النظريات اعتمدت العامل الفسلجي والعامل المعرفي والعامل العقلي والعامل الانفعالي التي هي من مكونات السلوك الطبيعية، وبذا تكون تلك النظريات وكأنها تتحدث عن مراحل تطور كفايات التلميذ التعبيرية. أقول التلميذ لأننا اعتمدنا الرسم المدرسي في هذا البحث. ومن بعض امثلة التطور عندهم أنهم يضيفون ما يعرفونه على ما يرونه، إذا تركنا لهم حرية التعبير، فهم يضيفون السمك في النهر عندما يرسمون الصيّاد.

الفصل الثالث

التأويل والواقع

من بعد أن استعرضنا مجمل النظريات وما نتج عنها من تفسيرات، نأتي الآن لما لمسناه من خلال الخبرة المهنية والتجارب العملية:

يتمكن تلميذ المدرسة الابتدائية من رسم ما يراه وما يعرفه على حد سواء، ،ذلك أن رسوماتهم تُستمد من مصدر بصري أو من مصدر معرفي، فضلا عن وإن مصادر المعرفة الوصفية لموضوع متخيل فهو لم يأت الى المدرسة خالي الوفاض بل كانت له خبرات عملية ومعرفية امدها ست سنوات[١٠].

أما إذا الزمناه بما يرى فإنه سوف يرسم ما يبصره بحسب كفاياته العقلية والمعرفية والحسية، فإذا طلبنا من أطفال المدرسة (على سبيل المثال) رسم القاعة الدراسية، فإنهم سوف يرسمون ما يرونه في القاعة التي يجلسون فيها إلى حد أنهم يرسمون السبورة (لوح الكتابة) ويكتبون ما يجدونه مكتوبا عليها.

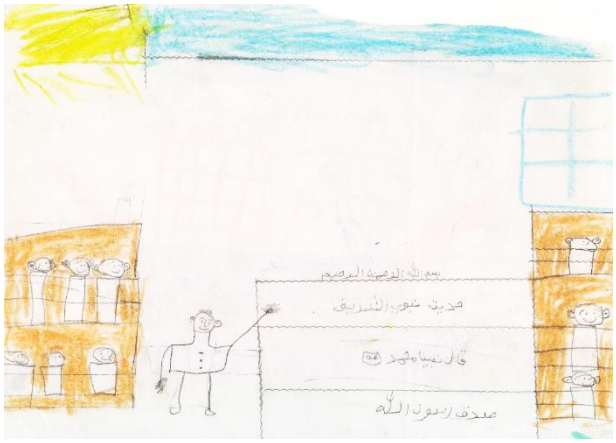

بناء على ذلك يبدو أن الطفل السوي يستطيع أن يصف الأشياء التي يراها في الواقع بحسب إمكانيات بصره، ويمكن القيام بهذه التجربة العملية وسؤال الطفل عما يراه، وسوف يتبين **هل يرى الأشياء كما هي أم أنه يراها كما يعرفها؟** وقد يظهر أنه في بعض الحالات ينسى بعض التفاصيل ويكتفي برسم الأجزاء البارزة المميزة كالشكل الخارجي والاطارات والمصابيح وحدود الأبواب إذا أريناه سيارة وطلبنا منه وصف ما يراه، ثم نطلب منه أن يرسمها من ذاكرته.

اذن المشكلة ليست في الرؤية او المعرفة بل في فشل استعادة ما رآه وهو لما يزل في الذاكرة قصيرة المدى. أما القصور الفسلجي وما ينتج عنه من مظاهر تعبيرية فأنا اتفق مع نظرية الواقعية الساذجة بأن ذلك القصور من العوامل الرئيسية في ظهور الاختلاف في المظاهر التعبيرية ما بين رسوم الأطفال ورسوم البالغين بل حتى ما بين الأطفال أنفسهم وذلك لوجود الفروق الفردية.

---

[١٠] -من أراد الزياد يراجع ادبيات سيكولوجية الطفولة والمراهقة.

ومما ظهر لي أنه لا يمكن التسليم أن ما يرسمه الطفل يعتمد على المفاهيم البصرية فحسب. وإنما يضاف إلى المفهوم البصري المفاهيم المعرفية، لأن الطفل لديه خبرات معرفية مكتسبة لا يمكنه التغاضي عنها. إذن هنالك حقيقتان هما الابصار والادراك تسهمان بشكل فاعل في المظاهر التعبيرية في رسوم الأطفال. هاتان الحقيقتان محكومتان من حيث وجودهما الخارجي (ورقة الرسم) بمستوى النمو الفسلجي والعقلي والمعرفي.

وخلاصة القول إن المفهوم البصري لا ينفك عن المفهوم المعرفي في رسوم الأطفال، ولو نظرنا إلى رسم لأحد الأطفال مصدره الذاكرة لرأينا حقيقة المفهوم المعرفي وأثره على مظاهره التعبيرية.

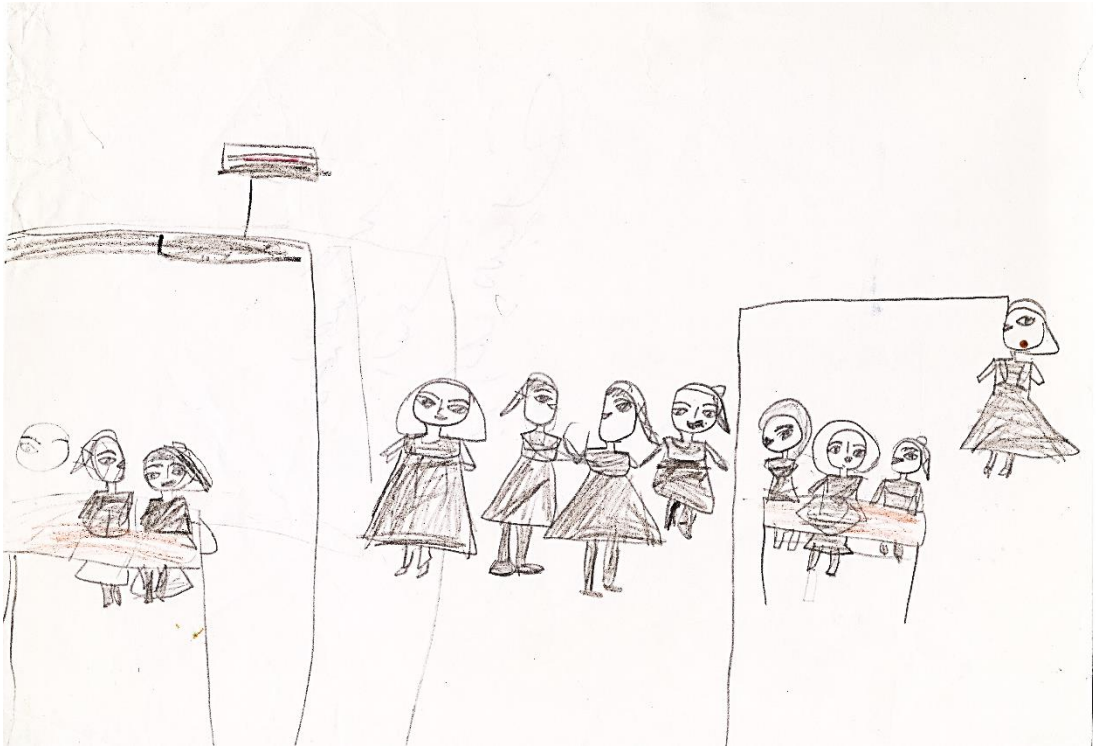

نلاحظ في هذه الصورة أن هنالك ثلاثة مشاهد مصدرها المفهوم المعرفي و البصري عندما رسم التلميذات وهنَّ في القاعات الدراسية وفي الساحة أثناء الفرصة.

ربما تكون تفسيرات النظرية التحليلية من أكثر الأسباب المسوغة لهذا الكتاب وما احتواه من تجارب عملية. كما ان انتشارها بين المعلمين وأغلب الباحثين جعلها وكأنها بديهيات لا تحتاج الى برهان. أنا لا أنكر تأثير المشكلات النفسية على السلوك ولكن ليس كل سلوك يُعزى إلى أسباب نفسية كامنة في اللاشعور، ولاسيما عند الأطفال، فهم يتصفون بالديناميكية والتفاعل مع الحدث الذي هم فيه وكثيرا ما ينسون خلافاتهم مع اقرانهم كما يشهده الآباء وتشهده الأمهات. وقد ظهر جليا أن تفسيراتهم للمظاهر التعبيرية لم تقف عند حد المشكلات النفسية فهنالك العوامل الفسلجية والعوامل البيئية كازدحام القاعات الدراسية وعدم تمكن التلميذ من السيطرة الكاملة على كراسة الرسم.

نعم ان رسوم الاطفال سلوك ولكن السلوك لا يتحقق بآلية ميكانيكية، كأن ينظر التلميذ الى الشيء ويرسمه آليا من دون أن يسقط عليه مستواه العقلي والمعرفي، بل إن السلوك يكون نتيجة لمثير ثم التفاعل الحسي والوجداني وهو المخزون المعرفي اتجاه الموضوع ثم التفاعل الانفعالي وهو مستوى الميل نحو الموضوع.

يلاحظ ظهور المفهوم المعرفي من خلال التعبير عن الملابس وتصفيفة الشعر والبيوت والحقائب.

(مريم أحمد/٩ سنوات /مدرسة الدغيرات) نلاحظ في هذه الصورة تفاعل العوامل الثلاث الحسي بما رسمته من اشكال متناسقة وخطوط واضحة انيقة، والعامل الوجداني بما تعرفه عن البستان اثناء جني التمر، فنراها قد رسمت الطائر بعشه وبيضه فوق النخلة، وهو ما لا يُرى في الواقع بتلك التفاصيل التي رسمتها، ثم العامل الانفعالي حيث نلاحظ حالة الفرح ومحبتها للموضوع، فقد رسمت الفراشات باتجاهات مختلفة ورسمت الزهور وزخرفت الملابس حتى يمتلئ الموضوع بالعناصر المناسبة المكملة.

كيف يرسم طفل المدرسة:

نتائج عامة أفصح عنها البحث مغايرة تماما للتأويلات التي مرت في الفصل الثاني:

من خلال الملاحظة تبين لدي أن اغلب التلاميذ يبدؤون برسم الرأس ثم بقية أعضاء الجسم ومنهم من يكمل الرأس بتفاصيله كلها ثم يرسم بقية اجزاء الجسم فينتج عن ذلك ظهور حجم الرأس أكبر من الحجم الطبيعي بالنسبة الى بقية اعضاء الجسم. ثم يرسمون بقية أجزاء الجسم، بعدها ينتقلون لرسم المكان، ثم بقية العناصر التي استوعبها التلميذ اثناء عرض الموضوع من قبل المعلم، بعدها يلونون العناصر بما يتوافر لديهم من ألوان حتى اكتمال الرسم من وجهة نظر التلميذ.

يبدو أن التلميذ يفكر بالجزء فيرسمه لا بالكل كما هو معروف لدى الرسامين المحترفين حينما يرسمون تخطيطا كروكيا لتمام الجسم وبعد ذلك يظهرون التفاصيل شيئا فشيئا.

العوامل المؤثرة على المظاهر التعبيرية

عوامل داخلية:

١- العجز عن فهم الموضوع:

بعض التلاميذ الذين لا يتمكنون من رسم الموضوع لأسباب شتى منها عدم فهم الموضوع، وتدني مستوى الذكاء بالقياس الى اقرانهم. وقد يعجز الاطفال عن فهم الموضوع لأنهم لا يفهمون ما عليهم ان يقوموا به أول

الأمر، وقد تكون المفردات اللغوية او القواعد النحوية المستخدمة من قبل المعلم اثناء عرض الموضوع مبهمة. وقد تكون مشتتات الانتباه قد شغلتهم عن الانصات للمعلم، ومن أجلى علامات عدم فهم الموضوع غالبا السؤال: ماذا نرسم؟ من بعد إن قام بعرض الموضوع والوسائل التعليمية.

٢- العنصر الرئيس:

ينشغل التلميذ بالعنصر الرئيس في الموضوع من خلال تركيز المعلم عليه اثناء مرحلة عرض الموضوع، والوسيلة التعليمية، وهذا الانشغال يجعل ذلك العنصر يحظى بالاهتمام الاكبر من لدن التلميذ، فيبدأ برسمه على الاغلب ثم يرسم بقية العناصر مما يؤدي الى ظهوره بحجم أكبر من غيره لأن بقية العناصر كان رسمها تكميليا للموضوع فنجده يوزعها هنا وهناك بحسب المساحة المتبقية، فيضطر الى تصغير العناصر الثانوية حتى تستوعبها المساحة المتبقية من الورقة.

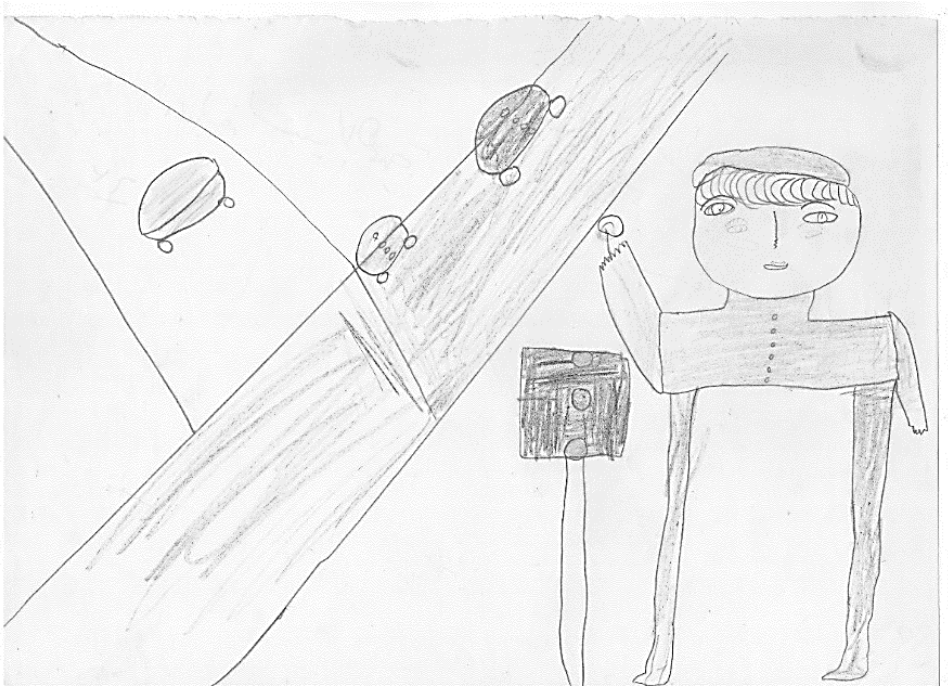

نلاحظ أن التلميذ قد اعتنى برسم الشخصية التي تمثل الموضوع، ولما لم يجد مكانا كافيا لرسم بقية العناصر عمد إلى تصغيرها واهمال تفاصيلها.

٣- النظرة الجزئية للموضوع:

قد يقع التلميذ في مشكلة أن الشخصية التي رسمها أخذت الحيز الأكبر من الورقة إلى حد أنه لا يجد مساحة كافية ليكمل رسمها وتفاصيلها كاليدين، أو نجده قد رسمها في وسط الورقة، لتأخذ المساحة الحرة في رسمها كاملة، حينها سيجد أنه لم يبق لديه مكان لرسم بقية عناصر الموضوع فيعمد إلى تصغيرها ورسمها حول الشخصية الرئيسية.

نلاحظ هنا أن التلميذ قد بدا برسم العنصر الذي يثير اهتمامه أولا ثم نشر بقية العناصر حوله من دون اكتراث للنسب والحجوم.

٤- الاشباع :

حينما يُخبر طفل المدرسة معلمه أنه انتهى من الرسم، تارة يجد المعلم أن التلميذ لم يحقق الهدف الخاص من الموضوع، فيطلب منه من بعد الايضاح أن يتمم الرسم. بعض التلاميذ سيعتنون بملاحظات المعلم وينجزون الهدف الخاص من الموضوع، وبعضهم لا يتمكن من ذلك فيعمد إلى ملء ما رسمه بالألوان والعناصر غير المتسقة العشوائية، فهو ما بين الاشباع وعدم رغبته في إضافة وقت آخر للرسم وبين خوفه من المعلم أو رغبته في تنفيذ ما طُلب منه. بعض التلاميذ يكررون ما يعرفونه حتى وإن كان لا علاقة له بالموضوع رغبة منهم في عرض مهاراتهم أو رسم ما يحبون رسمه.

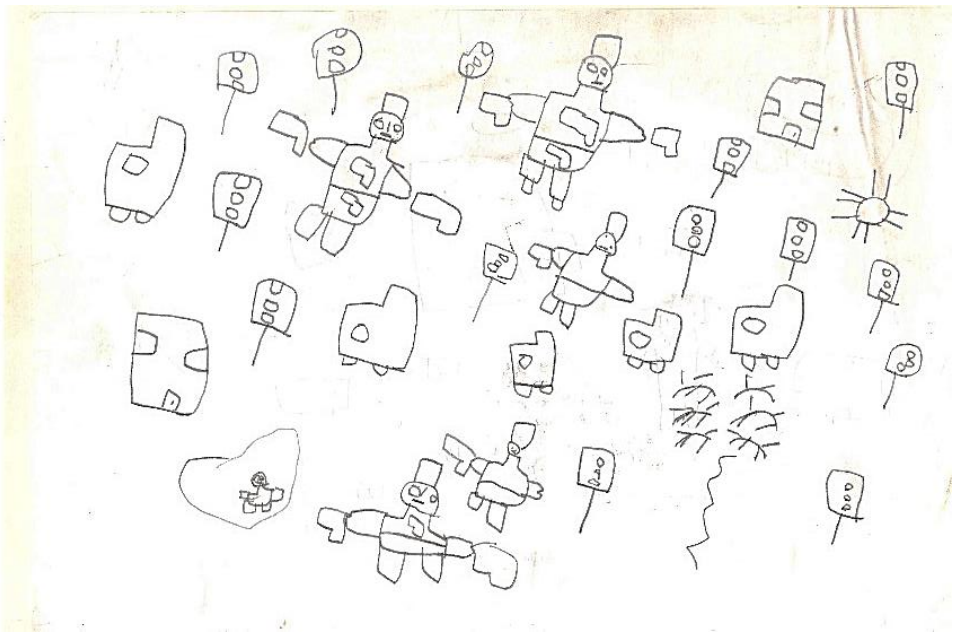

نلاحظ في هذه الصورة أن التلميذ قد كرر ثلاثة عناصر هي شرطي المرور والاشارة الضوئية والسيارة ووضع عناصر أخرى هي الشمس و الشجرة والبيت ووضع نفسه في دائرة محمية من اخطار الطريق كما هو واضح في الجزء الأسفل الأيسر من الصورة. كما نلاحظ ميل العناصر إلى اليمين . ان هذا التكرار العشوائي ينم عن استيعاب التلميذ لفكرة الموضوع إلا أنه لم يتمكن من عرضها كما هي في الواقع نتيجة لقصور في التصور المكاني للعناصر.

٥- الذاكرة:

الذاكرة لها اهميتها في انجاز الموضوع، فاذا كان الطفل لا يستطيع ان يتذكر العناصر فإنه فلا يتوقع منه ان يصل الى رسمها. فالأطفال قد ينسون الحقائق التي قُدمت إليهم أثناء عرض الموضوع.

٦- الافتقار الى المفاهيم الملائمة:

يمكن للطفل ان يفهم الموضوع لكنه يفتقر الى المفاهيم والقواعد المناسبة التي تمكنه من التوصل الى العناصر المعبرة عن الموضوع.

٧- الاعتقاد بمفاهيم محددة:

قد يجد الطفل تعبيرات شكلية وفقا للقواعد والمفاهيم التي يعرفها، لكنه لا يصدق بمفاهيم وقواعد اخرى صحيحة لكونها تنافي اعتقاده.

٨- الخوف من الخطأ:

يخشى طفل المدرسة الابتدائية التعرض لنقد الآخرين، بسبب الفشل ويتجنب مشاعر الشك في نفسه بسبب الفشل والاخفاق مما يؤدي الى الامتناع عن الرسم معتذرا بعبارة (لا أعرف) وهي عبارة تتكرر كثيرا من بعض الأطفال الذين يحجمون عن الرسم.

عوامل خارجية:

١- جلسة التلميذ

غالبا ما يحجب التلميذ جزء من ورقة الرسم بيده أو يكون راسه قريبا جدا من الورقة فلا يتمكن من النظر إلى الورقة برمتها مما يؤدي إلى الرسم ضمن المساحة المنظورة أمامه أعلى الورقة أو في أحد جوانبها ويترك الجزء الذي حجبه بيده أو كان خارج نطاق نظره كما هو موضح في الصور الاتية:

حجب جزء من الورقة باليد أو بتضييق نطاق النظر

٢- اكتظاظ المقاعد بالتلاميذ:

يؤدي ازدحام القاعات الدراسية بالتلاميذ إلى اكتظاظ المقاعد الدراسية، وبما درس الرسم يحتاج إلى مكان يكفي لورقة الرسم والألوان ويمكن التلميذ من الرسم براحة تامة، فإن المساحة الصغيرة والمضايقة اثناء جلسته يؤدي إلى عدم الراحة، فيعمد إلى اهمال جزء من الورقة لعدم تمكنه من السيطرة عليها كما هو موضح في المثال الآتي:

٣- النقل والتأثر:

التقارب بين التلاميذ اثناء جلستهم للرسم يؤدي إلى اختلاس إلى رسم زميله ، مما يؤدي إلى التشابه في العناصر وطريقة التعبير وعدم الجودة في الأداء، كما أن التأثر بالزميل يمنع التلميذ من التفكير بالموضوع للتعبير عنه بحسب شخصيته ومعلوماته مما يفقد المعلم القدرة على تقييم التلاميذ. وبعض التلاميذ يرسمون العنصر الاساسي نقلا من زملائهم ثم يرسمون عناصر لا علاقة لها بالموضوع اطلاقا لغرض اشغال الدرس او عرض ما يعرفه او للتعويض عن قصوره في رسم الموضوع المطلوب، وبعض التلاميذ يمتنعون عن رسم موضوع معين لأنهم تعودوا رسم موضوع آخر فيكونون أكثر إجادة له من الموضوع الجديد.

٤- ضعف إدارة الصف:

قد لا يتمكن المعلم من إدارة الوقت والتلاميذ داخل القاعة الدراسية، مما يؤدي إلى الفوضى واختلال فهم التلاميذ للموضوع، فالتلميذ قد وجد حرية الحركة والتحدث مع زملائه من دون مراعاة لقواعد الجلسة، فيكون الرسم لديه نوع من أنواع اللعب، فتظهر لدينا الرسوم العشوائية غير المنظمة تارة، وتارة أخرى مقتبسة مما شاهده لدى الزملاء بل قد يصل الأمر إلى قيام أحد التلاميذ بالرسم على ورقة زميله.

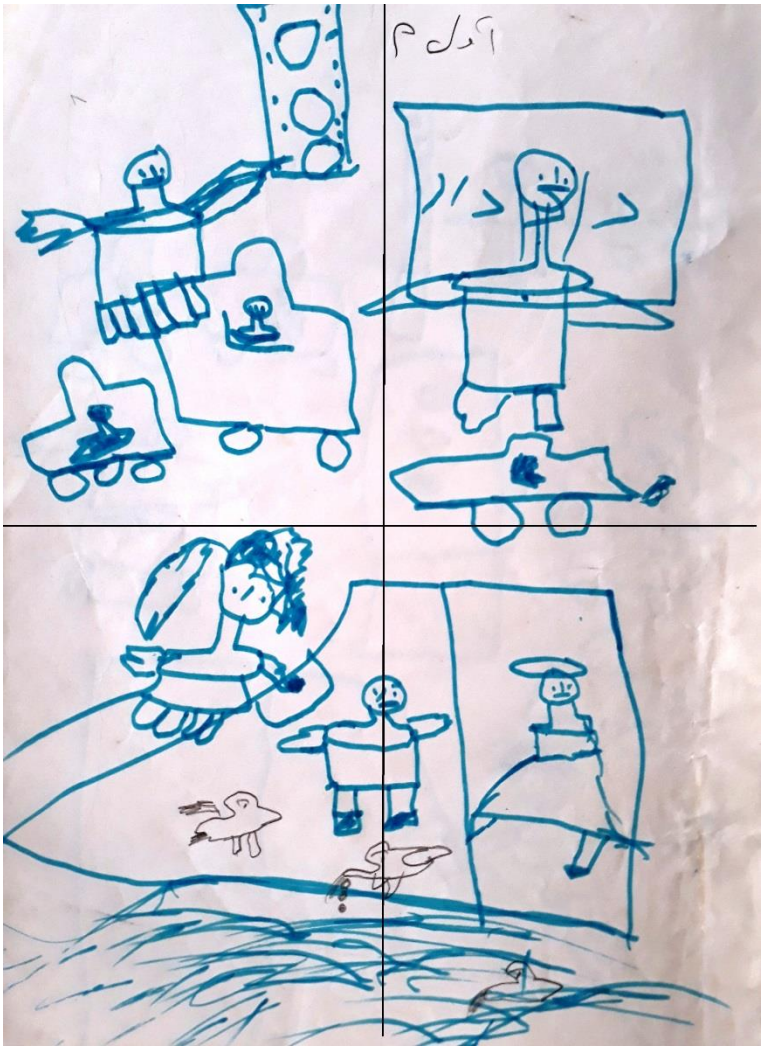

يلاحظ عدم اتساق الموضوع لوجود عناصر غير مترابطة وقد يعزى الى عدم انتباه المعلم لما يفعله التلاميذ اثناء تنفيذ الموضوع.

الفصل الرابع

تفسير رسوم الأطفال من وجهة نظرهم

إن تفسير المظاهر التعبيرية في رسوم الأطفال التي قرأناها في الادبيات المعنية بهذا الشأن تكاد أن تكون وصف لفئة معينة محدودة بحدود الاختبارات النفسية التشخيصية واختبارات الذكاء وما شاكل ذلك، لذا فإن سنوات الخبرة الطوال في تدريس التربية الفنية والاشراف التربوي في مجتمعات متنوعة حضرية وريفية وما بين هذا وذاك بينت لنا أن هنالك أسباب أخرى للمظاهر التعبيرية في رسوم الأطفال غير تلك التي يعتمدها الأكاديميون في بحوثهم ودراساتهم، ويبدو لي أن تلك البحوث والدراسات قد اقتصرت على فئة معينة لا تصلح للتعميم، ووقد يكون القائمون عليها يفتقرون إلى الخبرة العملية غالبا.

تفسير المظاهر التعبيرية بحسب إجابة التلاميذ:

ملاحظة: الرسم في ظروف مثالية لإجراء التجارب يختلف من حيث المظاهر التعبيرية عن الرسم في الظروف الاعتيادية التي يعيشها التلميذ يوميا. هذه الدراسة قد أُجريت في البيئة المدرسية الاعتيادية، أي أن العينات أُخذت من التلاميذ وهم في مقاعدهم الدراسية المعتادة. من الجدير بالذكر ان التعبير اللفظي عن التفسيرات هو نتاج فهم الفاحص لما قاله التلميذ، وغالبا ما يكون تعبير التلميذ اللفظي مغاير لما كتبه الفاحص لكنه مطابق للفحوى.

المبالغة:

المظهر التعبيري	تفسير التلميذ
الشخص أكبر من البيت	لأن التلميذ رسمه أولا
اليد طويلة	لأن الشرطي يشير بها
رسم اشخاص بأطول متفاوتة على قاعدة واحدة	للتعبير عن القريب والبعيد
الايدي لا تتناسب مع الارجل من حيث الطول	لأنها تحمل الاعلام
رسم الحيوان الداجن أكبر من الانسان	لأنه مهم في الريف
رسم الصيّاد أكبر من الزورق	لأن الموضوع هو الصياد
المبالغة في طول يد البناء	ليتمكن من بناء البيت
المبالغة في طول الأرجل	لأنه رسم الجزء العلوي أولا وأراد أن تصل الأرجل الى خط الأرض
المبالغة في رسم شخص أكبر من الأخر	لأنه يمثل الموضوع
رسم حارس المرمى أكبر من الهدف	لأنه يمثل الموضوع

التصغير:

المظهر التعبيري	تفسير التلميذ
رسم اليدين صغيرة	لعدم وجود مكان في الورقة
رسم أحدى الرجلين أصغر من الأخرى	للتعبير عن المشي
رسم النخلة أصغر من الفلاح	لأن النخلة صغيرة أصلا
تصغير حجم النخلة والمبالغة في رسم الفلاح	لأنه لا يعرف رسمه على النخلة

الحذف:

المظهر التعبيري	تفسير التلميذ
حذف عضو من أعضاء الجسم	لأنه نسي رسمه
حذف احدى الارجل	لأنها محجوبة بعنصر آخر
حذف اليد	لأنها لا تعمل
حذف شخصية من الموضوع	لا يوجد مكان في الورقة
حذف اليدين أو احداهما	لعدم توفر المجال في الورقة
حذف اليدين في موضوع كرة القدم	لعدم استعمالهما

حالات أخرى متفرقة

المظهر التعبيري	تفسير التلميذ
السؤال عن المظهر التعبيري	يقول التلميذ أنه أخطأ
لا يعرف التفسير	لأنه تقل الرسم من زميله
جمع عدة مشاهد مختلفة لا علاقة لها بالموضوع	لأنه يعرف رسمه
رسم موضوع غير المطلوب منه	لأنه يحبه
رسم موضوع غير المطلوب منه	لأنه يفهمه ويعرفه
لا يعطي أي تفسير لموضوعه	لأنه لا يدري

التحليل:

١- المبالغة في رسم اليد لغرض الوصول إلى الهدف، وكذلك أي عضو آخر تتم المبالغة في التعبير عنه، إن الدافع لهذا التعبير بالمبالغة أمرين: الأول عقلي وهو معرفة التلميذ بالموضوع ومعرفته بما يميزه، مثل

موضوع جني الثمر، فالتلميذ يعرف أن من أبرز المظاهر التعبيرية للموضوع هو وصول يد الفلاح للثمر. الامر الثاني شكلي وهو كيفية رسم العنصر بحيث يُعبر عن معرفة التلميذ بالموضوع، ولما كانت نظرته للموضوع جزئية غير كلية، فقد بدأ برسم الشخصية التي تمثل الموضوع، ولما اكتشف أن عناصره غير متسقة، عمد إلى تطويل اليد أو الأرجل.

نلاحظ أن التلميذ قد بالغ في رسم الرجل، لأنه بدأ برسم الرأس ثم البدن فاكتشف أن الشخص بعيد عن خط الارض فأطال الأرجل.

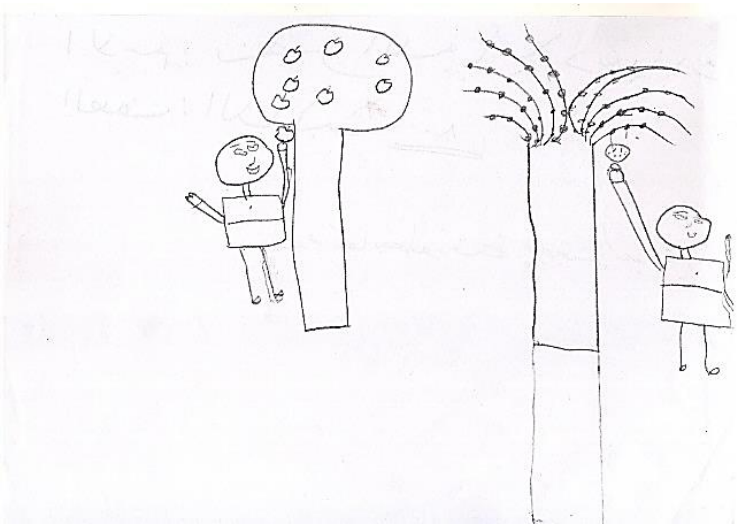

نلاحظ تطويل اليد لتصل إلى الثمر ونلاحظ ايضا قصر اليد الاخرى لوقوعها على حافة الورقة

٢- المبالغة في رسم أحد أعضاء الجسم لكونه يُعبِر عن الموضوع، وهذه المبالغة هي معالجة من التلميذ لما ظهر لديه من بعد رسم العناصر، مثال ذلك في موضوع احتفالية رفع العلم، فإن التلميذ من بعد أن رسم العناصر جراء تفكيره الجزئي، تبين له أن العنصر الرئيس الذي يقوم برفع العلم بعيد عن سارية العلم،

فقام بتطويل اليد لتصل إلى السارية. وفي موضوع شرطي المرور يبدأ التلميذ برسم الشرطي ويصب اهتمامه فيه ومن ثم يرسم بقية العناصر فتبدو أصغر من العنصر الرئيس وهو شرطي المرور، ، وهكذا مع بقية الموضوعات التي تظهر فيها المبالغة ويغلب على الظن ان من أسباب ذلك هو تركيز المعلم على شخصية شرطي المرور اثناء عرض الموضوع أكثر من بقية العناصر المكملة. في بعض الأحيان نطلب من التلميذ إعادة رسم الموضوع من بعد المناقشة، فكانت النتائج فيها مراعاة للنسب والحجوم، ومن ذلك نفهم أن إدراك التلميذ للموضوع له أثر في مظاهر التعبير لديه، ومنه نفهم أيضا أهمية تزويد التلميذ بتفاصيل المكان والنسب بشكل مبسط عن طريق الملاحظة وإثارة انتباهه نحو ذلك لغرض تزويده بخبرات معرفية وعقلية، وهذا الأمر هو إحدى أهداف التربية الفنية المتمثل بالتربية عن طريق الفن. وهو تأكيد لتحقيق الهدف أو الغاية من الموضوع.

فالموضوع لدى التلميذ يبدو وكأنه قصة تحكي كيف يجني الفلاح الثمر على سبيل المثال، فيرسمه ويرسم الأشخاص الذين معه وأدواتهم بحسب المتوافر من الورقة، من بعد رسم الأجزاء التي اعتقد أن لها أهمية، أو أنه تأثر بها فيرسمها أول الأمر ثم يرسم بقية العناصر دون الالتفات إلى النسب وهندسة المكان من حيث الحجوم والقريب والبعيد.

يبدو لي أن التلميذ يرسم كل عنصر من دون النظر الى علاقته مع بقية العناصر من حيث الحجم والنسب الموضوع، فهو يرسم الشخص ثم يرسم الشجرة وقد وصلت إلى ثمرها اليد. أو يرسم شرطي المرور ويضع الصفارة في فمه ثم يرسم السيارات.

زهراء دريد ٩ سنوات

٣- عندما سُئل التلميذ عن ظاهرة ما في رسمه لم يجب، أو أنه يمتنع عن الإجابة مهما كانت المظاهر مبالغة أو تصغير أو حذف، ذلك أن التلميذ قد تعود على الرسم بهذه الآلية، فلذلك هو لا يستطيع تفسير لماذا عبَّر بهذا الشكل أو ذاك.

٤- التلميذ يحب أن يرسم العناصر بشكل يوافق رغبته ومفاهيمه التي لا تتغير إلا بوجود مفاهيم جديدة، فإنه سوف يطور تلك المفاهيم أو تحدث لديه مفاهيم جديدة.

٥- عندما لا يتمكن التلميذ من رسم عنصر بصفات يتطلبها الموضوع فإنه يلجأ الى حذف الجزء الذي لا يعرف رسمه أو يرسمه في غير مكانه، ثم يضع له وسيلة ليكتمل الموضوع مثل وضع السلم على النخلة أو يضع منضدة ليصعد عليها الفلاح.

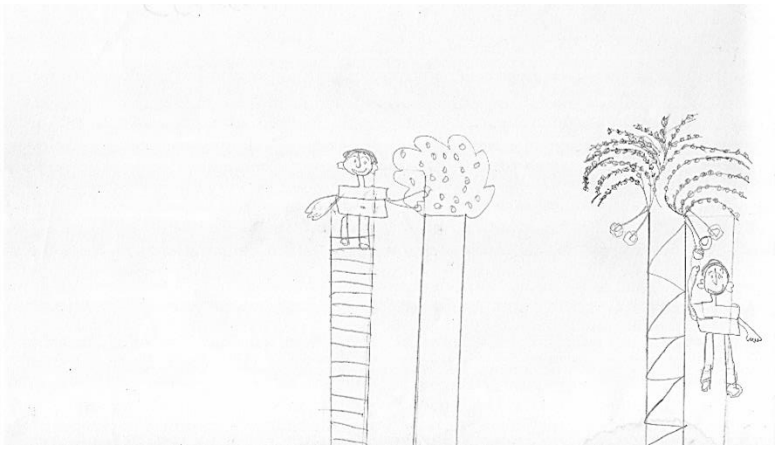

زهراء علاء عباس ٩ سنوات

٦- إن أكثر أوضاع الشخصيات التي تتطلب مستوى مرتفع من الادراك لا يتمكن التلميذ من رسمها، حتى وإن شاهدها عيانا أو في صورة فوتوغرافية، مثال ذلك وضعية الأرجل أثناء الجلوس كونها تتطلب إدراكا للمنظور، وكلما تنوعت الأوضاع كلما عجز عن رسمها، أو أنه يحاول جاهدا فيرسمها على غير وضعها الواقعي.

٧- قد تكون النتيجة المتحصلة تحمل شحنة تعبيرية طريفة تُرضي الكبار، ولكن التغاضي عنها فيه غمط لحقوق التلميذ المعرفية والعقلية حسبما أراه، لذا ينبغي مراعاتها عند اختيار الموضوع. اما اذا كانت النتائج دون سن المرحلة العمرية للتلميذ فقد يكون ذلك دليل على وجود قابليات كامنة تحتاج الى تحريكها.

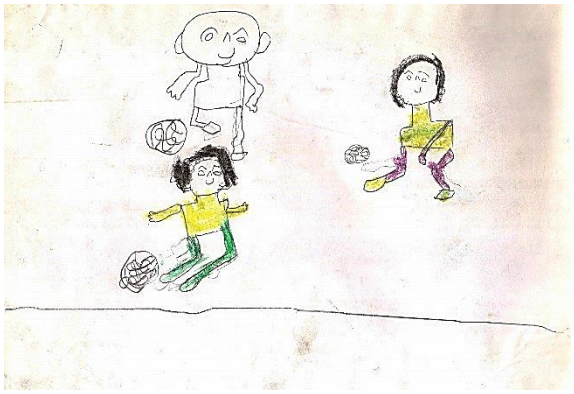

٨- بعض التلاميذ علق انه متعود على رسم الجسم وفيه مبالغة في رسم الجسم واليد ومنه نفهم عامل مهم من عوامل المبالغة او مظهر المبالغة في رسوم الأطفال وهو الخبرات المكتسبة من الاقران او

الخبرات الشخصية التي كانت مقبولة له فهو يعيد رسمها كلما تطلب الموضوع ذلك. لذا تبرز أهمية تزويد التلميذ بخبرات جديدة تعينه على فهم الواقع الذي يحيا فيه اذ ان تركه لوحده في البيئة المدرسية يجعل منه متلقيا مقلدا مع خمول القدرات والقابليات الفطرية الكامنة لديه.

طيبة نورس ١٠سنوات .

٩- يبالغ التلميذ في تكبير حجم قدور الطبخ في موضوع الموكب وذلك لكونها العنصر الذي يمثل الموضوع، هذا من جانب ومن جانب اخر حسبما أراه اظهار ما يرغب فيه وهو الطعام لا أقول ان التلميذ قد صمم ذلك بقصد وانما أُأكد النظرة الفردية لعناصر الموضوع ثم الربط العقلي والشكلي بإشارات او مظاهر مثل تطويل اليد لتصل الى قدر الطعام لتحقيق الحكاية للموضوع.

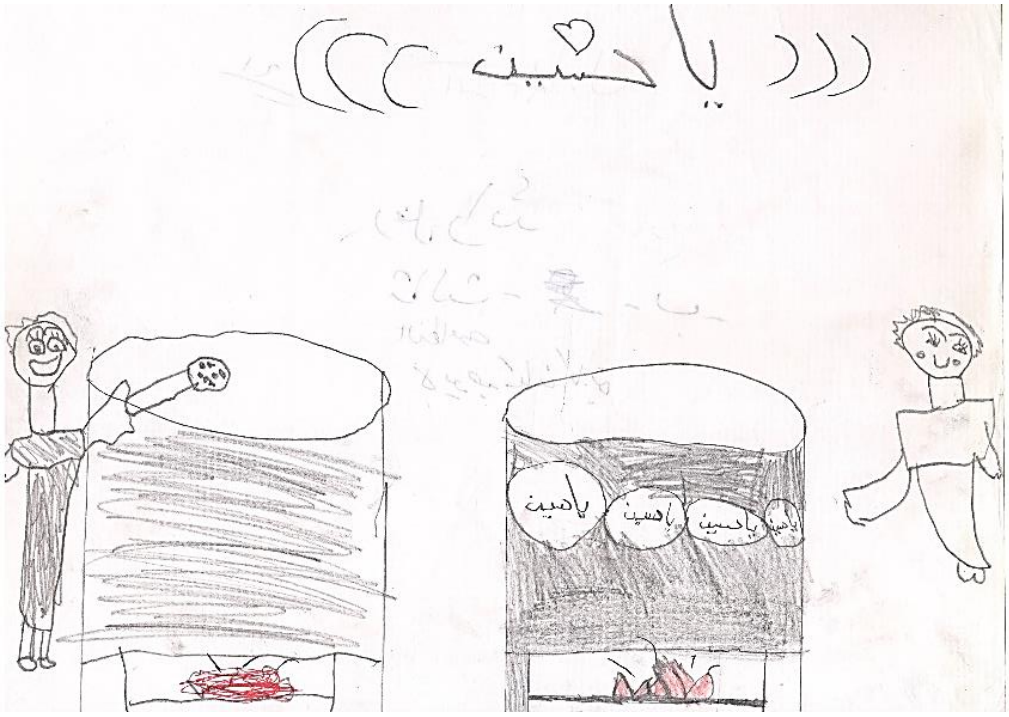

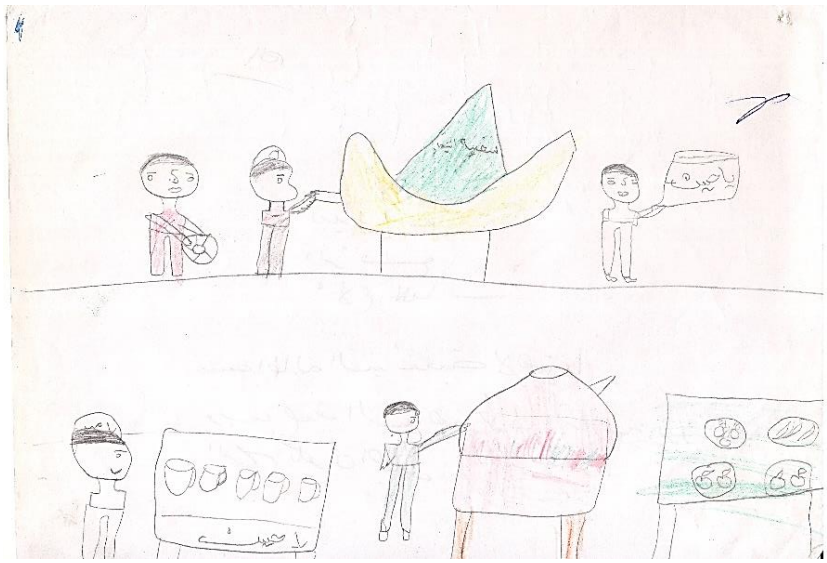

بيداء محمد ١٠ سنوات

١٠- بسبب معرفة بعض العناصر في الطبيعة يبالغ التلميذ في رسمها والاشارة الى بعض خصائصها مثل رسم الطائر في السماء، عندما يرسمه بحجم أكبر بالنسبة الى بقية العناصر لنراه يُظهر الريش والمنقار والعين وحركة الذيل، وفي موضوع النظافة نلاحظ التلميذ يبالغ في رسم حاوية النفايات بالنسبة الى الانسان، وذلك بسبب عرض الموضوع والتركيز على رمي النفايات في المكان المخصص يلجا التلميذ الى رسمها في اول الامر ومن ثم يرسم بقية العناصر لعدم اهتمامه بالنسبة بين الاشكال.

١١- ينسى التلميذ رسم أحد الأجزاء، وذلك لانشغال ببقية العناصر ولا يلتفت إلى ذلك إلا حينما يُسأل عنه. فهو ينظر إلى الموضوع مجزئا، فكل وحدة من وحدات الموضوع يرسمها مستقلة عن الأخرى ولا يجد ما

يسوغ الربط بينها. وفي بعض الأحيان يربط بينها بخطوط أو مبالغة في أحد الأعضاء أو تصغير لحجم أحد الاجزاء، فرسوم الأطفال حكائية يسجل التلميذ فيها معرفته ومفاهيمه ومستوى ادراكه العقلي والمكاني ومستوى نموه الفسلجي لتظهر الصورة بانورامية.

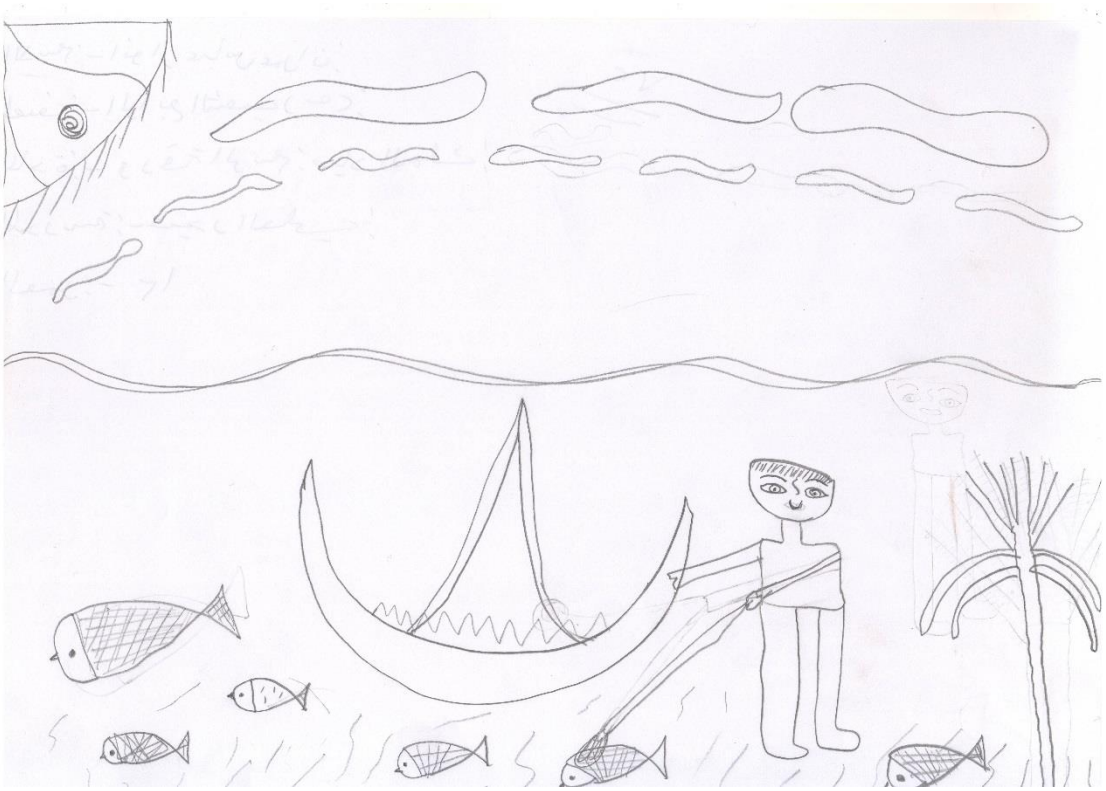

١٢- يلجأ التلميذ إلى التصغير للتعبير عن المسير أو القريب والبعيد، فهو يتعامل مع ذلك بنحوين:

الأول: تصغير بعض العناصر بالنسبة إلى البقية ويضعها جميعا على خط الأرض.

الثاني: يرسم أكثر من مستوى لخط الأرض فيضع العنصر الأصغر على الخط المرتفع عن حافة الورقة السفلى، بينما يكون ذو الحجم الأكبر قريب من حافة الورقة.

نلاحظ أن التلميذ قد جمع المسجد والشخصيتين على خط الارض ورسم الطائر وفي منقاره دودة ولم يغفل رسم الشمس ولون السماء مظهرا تأثير العامل المعرفي والتخيلي.

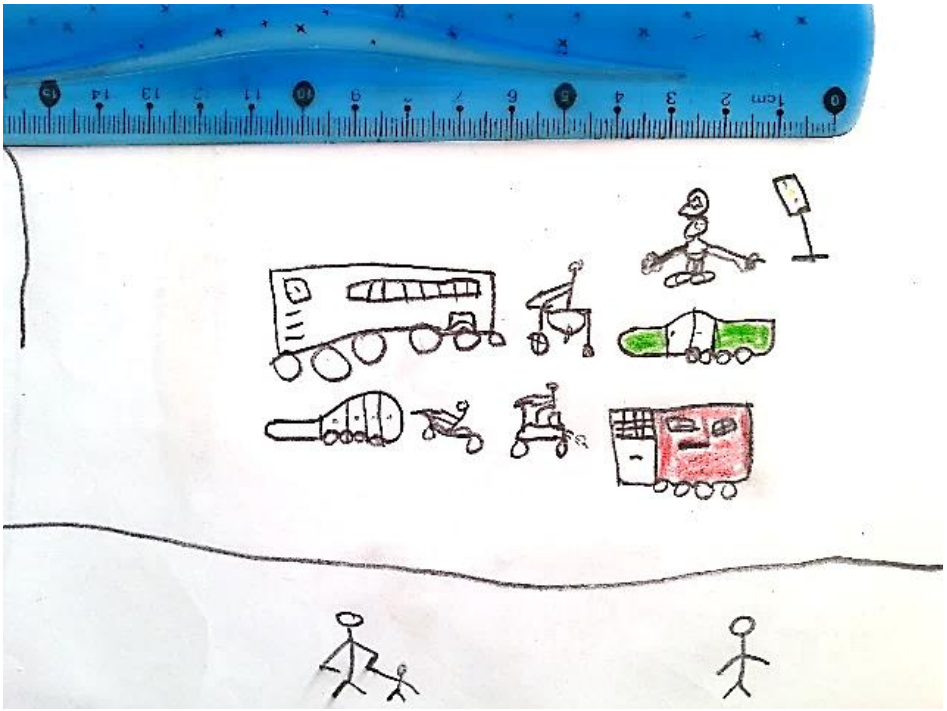

بعض التلاميذ يرسمون العناصر صغيرة الحجم لكنها متناسقة من حيث النسب بما يتلاءم والعمر الزمني لهم، وذلك بسبب دقة سنان القلم قلم رصاص

١٣- يحذف التلميذ العناصر التي لا يجد المكان الكافي لرسمها، لأنه قد شغل الورقة بعناصر أخرى، وذلك لعدم قابليته على النظرة الكلية للموضوع، كما يفعله الرسام المحترف.

١٤- في بعض الأحيان حينما يُسأل التلميذ عن الحذف أو المبالغة أو التصغير، يقول إنه أخطأ. يبدو لي أن السؤال قد شحذ ذاكرته إلى جزء لم يكمله، أو لم يتمكن من إيجاد العلاقة الشكلية بينه وبين عنصر آخر، فسؤال المعلم عن ذلك مكنه من الانتباه إلى تلك العلاقة.

١٥- يلجا التلميذ إلى النقل عن زميله لأنه أقل تكلفة من التفكير بالموضوع وإيجاد شيء جديد يساوق قابلياته، ومن أسباب ذلك أنه لم يفهم المطلوب منه أو أنه لا يرغب بالرسم في هذا اليوم أو أنه لا يحب درس الرسم أو لأنه مُعجب برسم زميله أو عدم فهمه للموضوع.

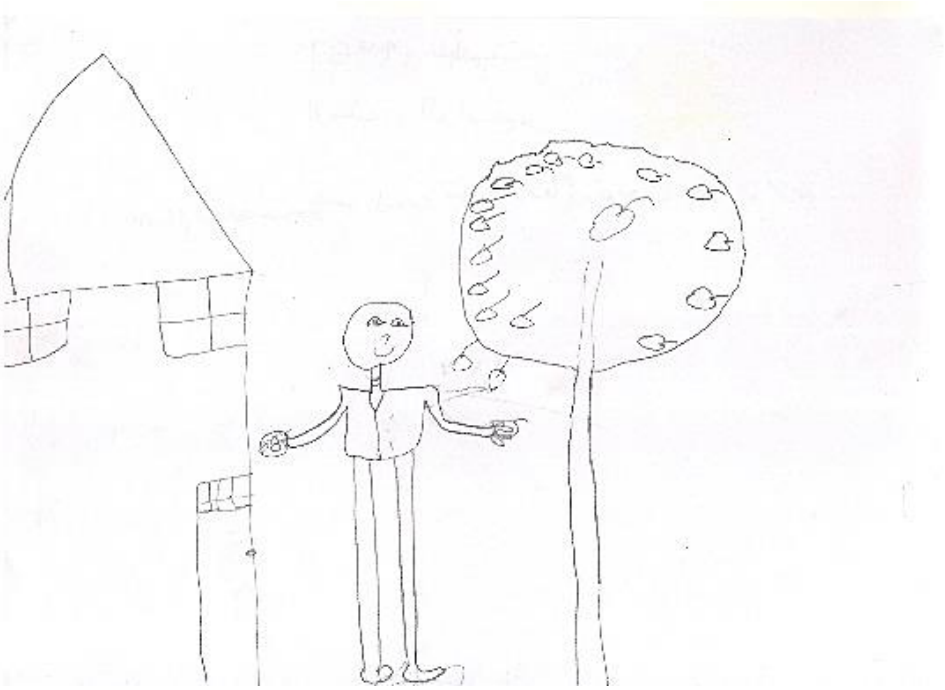

نلاحظ أن التلميذ قد بالغ في رسم الرجل، لأنه بدأ برسم الرأس ثم البدن فاكتشف أن الشخص بعيد عن خط الارض فأطال الأرجل.

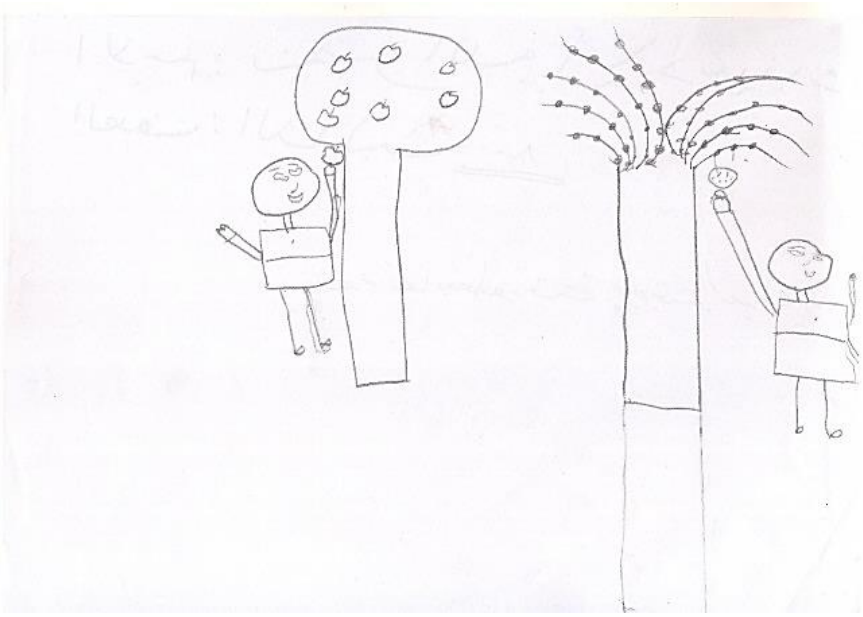

نلاحظ تطويل اليد لتصل إلى الثمر ونلاحظ ايضا قصر اليد الاخرى لوقوعها على حافة الورقة

الخلاصة:

رسوم الأطفال لها تفسيرات خاضعة لمنهجية معينة قد تصلح للتعميم بحدود ماهية تلك المنهجية. أما تأويلها وجرها التعميم العام فهو تعسف ومجانبة للدقة العلمية، فهنالك عوامل مؤثرة كالبيئة المدرسية وبيئة القاعة الدراسية، وهنالك ما يحبه الأطفال وما يفهمونه وما تعودوا على رسمه من موضوعات، وهنالك أيضا التأثر برسوم زملائهم، كما أن تعلمهم الكتابة يضفي على رسوماتهم بعدا معرفيا آخر حينما يسمون الأشياء بمسمياتها كتابة على ورقة الرسم في إشارة الى امتلاكهم وسيلة للتعبير جديدة ، كذلك لها تأثير عندما يبدؤون الرسم من جهة اليمين في بعض الاحيان، كما أن للقلم أثره، فإن كان سنانه دقيقا كانت العناصر صغيرة، وإن كان غليظا كانت العناصر كبيرة، كذلك تبين لي من خلال المتابعة والتقصي أن الأطفال حتى سن التاسعة مظاهرهم التعبيرية متشابهة نوعما بغض النظر عن البيئة الاجتماعية ،في حين أنهم يُظهرون التمايز في سنة العاشرة تقريبا عندما تظهر في رسوماتهم أزياء البلد الذي ينتمون اليه فضلا عن الجنس.

لذلك تبرز أهمية التجربة العملية والدراسة الميدانية للوصول الى الهدف المراد من التفسير أو التأويل لأنه يستند الى دليل عملي كما حاولنا تحقيقه في هذا الكتاب بحدود البيئة المدرسية للأسوياء اجمالا.

لذا فإن التفسيرات التي نجدها في ادبيات رسوم الأطفال هي في الواقع غير مطردة ولا تصلح للتعميم، ربما تصلح لفئة معينة كعيادات الأطباء النفسيين والمرشدين النفسيين ومختبرات الذكاء وما شاكل ذلك.

(الرسم عند الطفل ليس وسيلة للعب والترفيه ،بل هو لغته الثانية التي يعبر بها عما يحس ويشعر به، وهذا ما جعل منه أداة فعّالة في التشخيص و العلاج النفسي من خلال الكشف عن صراعات الطفل و علاقاته بمحيطه ونظرته لذاته، لأنه أثناء الرسم تتجلى للأخصائي النفساني الحياة العاطفية والانفعالية والدينامية للطفل، لذلك حظيت رسوم الأطفال بأهمية بالغة منذ فترة مبكرة بوصفها مادة سيكولوجية تتسم بالثراء، حيث يمكن الخروج منها بالعديد من الدلالات، في مجال الشخصية واضطراباتها ولهذا فقد لجأ المعالجون النفسانيون إلى استخدام الرسوم كوسيلة لتحقيق التواصل مع المرضى، على اعتبار أن الرسم إنما هو لغة يمكن من خلالها إقامة جسر للتواصل بين المريض والمعالج لتبادل الأفكار والمعاني فيما بينهما والكشف عن الصراعات الداخلية لدى المريض.)[١١]

وقد تبين لنا من خلال التجربة ما يأتي:

*لمعالجة ظاهرة القريب والبعيد يقوم التلميذ برسم العناصر بحجمين أحدهما أصغر من الاخر ليكون العنصر الأكبر هو القريب، والاصغر هو البعيد ويبدو لي ان هذه المعالجة ناتجة عن طريق عرض الموضوع فإما ان يكون المعلم قد أشار الى القريب والبعيد ولم يشبع هذه الظاهرة درسا ليفهمها التلميذ او انه عرضها لمرحلة أصغر من ان تفهم ذلك. غالبا يلجأ التلميذ الى وضع العناصر الكبيرة والصغيرة على خط ارض واحد وتارة يعدد خط الأرض للتعبير عن البعيد والقريب. أو تصغير حجم الشخص على النخلة لإظهار المسافة. من معالجات التلميذ للتغلب على مشكلة القريب والبعيد رسم احجام مختلفة وضعت على خط الأرض بشكل نمطي أي انه يضعها الواحد جنب الاخر. قد يعجز التلميذ عن رسم الرجل وهو يتسلق النخلة فيعمد الى تكبير حجمه لإتمام حكاية الموضوع بأنه يجني التمر بحسب تعليقه. من معالجات وصول الرجل الى الثمر رسم منضدة او سلم يرتقي عليه فإما ان يكون التلميذ قد شاهد ذلك ولاسيما وضع السلم الخشبي او هو وضع المنضدة للتغلب على مشكلة فرق الاحجام ما بين طول النخلة وصغر حجم الرجل بالنسبة اليها أو عدم تمكنه من تصور منظور الرجل وهوه يصعد النخلة (الادراك المكاني)[١٢] ومن ثم عدم تمكنه من رسمه بهذه الهيأة.

---

١١ -بوزغاية نهاد، مزوز بركو " رسومات الأطفال: من وسيلة للترفيه إلى وسيلة للتشخيص والعلاج النفسي" مخبر التطبيقات النفسية في الوسط العقابي، جامعة باتنة/ديسمبر ٢٠١٩.

١٢ ويعرف ستيرنبرغ (١٩٨٨، **Sternberg** (القدرة المكانية بأنها عبارة عن تكوين صور عقلية للشيء في وضعه المكاني، وإدراك علاقته بالأشياء.

*يبدو ان الأطفال يحورون عقلانية المشهد بحسب الغاية التي يريدون تحقيقها ضاربين عرض الجدار القيم المنطقية والعقلية التي يعرفها الكبار وهو تأكيد لحقيقة الإدراك لديهم.

*تارة يلجأ التلميذ الى ملء الفراغات الموجودة في ورقة الرسم عن طريق رسم بعض العناصر بحسب المكان المتوافر فإذا كان المكان المتوفر صغيرا رسمها صغيرة والعكس صحيح.

*إن تعميم التفسيرات التي تقول بالقصدية الرمزية للتلميذ في التصغير والتكبير مبالغ فيها، او انها فُهمت كذلك فهي لا تعدو كونها تفسيرات نقدية قالها الكبار لغرض فهم رسوم الأطفال من منظور الكبار أنفسهم ليكون الرسم مقبولا عقليا، والحال ان الامر ليس بهذه البساطة وانما هو بحاجة الى دراسة عدة عوامل تؤثر على الطفل اثناء الرسم.

*تصغير حجم المسجد بالنسبة الى الأشخاص المتوجهين اليه -على سبيل المثال-فإن التلميذ يهتم بحالة التوجه الى المسجد أكثر من اهتمامه بالمسجد نفسه. خلافا للمتوقع لدى الكبار ان يحظى المسجد باهتمامه من حيث البناء والخصوصية.

*بعض التلاميذ يرسمون العناصر صغيرة الحجم لكنها متناسقة من حيث النسب بما يتلاءم والعمر الزمني لهم، وذلك بسبب دقة سنان القلم قلم رصاص.

والحمد لله رب العالمين

المحتويات

الفصل الأول ١

المقدمة ١

بماذا يفسر التلميذ المظاهر التعبيرية في رسوماته؟..... ١

الاهمية التربوية..... ٤

هل التلميذ يتذوق الجمال لنفسه أم لأمر آخر؟..... ٤

..... ٦

مشكلات ظهرت اثناء التنفيذ ٦

أساليب تحليل رسوم الأطفال ٨

المظاهر التعبيرية وتفسيرها بحسب المألوف:..... ٩

أعضاء البدن ٩

التكوين والانشاء ١٠

مواضيع رسم الأطفال:..... ١١

نوع المشاكل بحسب عمر الأطفال:..... ١١

السماء والأرض:..... ١٢

الفصل الثاني..... ١٣

النظريات التي فسرت رسوم الأطفال..... ١٣

نقد ومناقشة النظريات: ١٥

اختلاف التفسير باختلاف المرجعيات النظرية:..... ١٥

الفصل الثالث..... ١٦

التأويل والواقع ١٦

كيف يرسم طفل المدرسة:..... ١٩

العوامل المؤثرة على المظاهر التعبيرية ١٩
عوامل داخلية:..... ١٩
عوامل خارجية:..... ٢٢
الفصل الرابع..... ٢٦
تفسير رسوم الأطفال من وجهة نظرهم..... ٢٦
تفسير المظاهر التعبيرية بحسب إجابة التلاميذ:..... ٢٦
الخلاصة: ٣٦

رسوم الأطفال من النتاجات الإنسانية المحيّرة، لذا فإن المتتبع لها لغرض فهمها وتفسيرها يبقى يدور في حلقة الأبحاث العلمية التي قام بها مختصون في العلوم التربوية والنفسية، وهؤلاء يستندون في تفسيراتهم إلى نظريات يتخذونها مرجعا علميا لتفسيراتهم لتلك الرسوم. ومن المثير للاهتمام ان بعض الباحثين شكك في مصداقية تلك التفسيرات [1]، لكونها لم تستند الى التجربة العملية الدقيقة التي من جرائها يصدق التعميم.

وإزاء هذه الحيرة وما يتطلبه عملنا في مجال التربية الفنية في المدارس الابتدائية بصفة معلمين أو مشرفين تربويين ظهرت الحاجة إلى تفسيرات يمكن الوثوق بها إلى حد ما، فبرز إمامنا التساؤل الآتي:

بماذا يفسر التلميذ المظاهر التعبيرية في رسوماته؟